هيلعلا وه

امهصيخشتكلاموءايرلاوصلاخلإا

شرحفقراتمنعداءبيحمزةلاثماليّ-لجلسةلعشرون

محاضرةلقاها
سمحاةلعلاّمةآيةاللهالسيّدمحمّدلحسينلحسينيّلطهرانيّ
قدّسسّرهلزكيّة

@MadrastAlwahy

أَعوذُ بِاللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ
بسم الله الرّحمن الرّحيم
وصلّى اللهُ على محمّدٍ وآلِهِ الطّاهرين
ولعنةُ اللهِ على أعدائهم أجمعين

علامة كون العمل إلهيًّا أو غير إلهيّ

«أَسْأَلُكَ اللّهُمَّ مِنْ خَيْرِ ما سَأَلَكَ مِنْهُ عِبادُكَ الصالِحُونَ، يا خَيْرَ مَنْ سُئِلَ وَأَجْوَدَ مَنْ أَعْطى، أَعْطِني سُؤْلي في نَفْسي وَأَهْلي وَوَلَدي وَمالي وَإِخْواني في كُلِّ»

يا إلهي (اللهمّ تعني: يا إلهي) أسألك من خير الأشياء التي سألك منها عبادُك الصالحون...!

فمن الواضح أنّ المسائل التي يطلبها أفراد الإنسان من الله تعالى في أدعيتهم ومناجاتهم وصلواتهم مختلفةٌ، بحيث كلّما ازدادت درجة الإنسان في التقوى والصلاح، صارت الأدعية التي يقولها ألطف وأرقّ؛ وكلّما كانت نفسُه أخشن، وأنانيته واستكباره أزيد، كان دعاؤه أيضًا أخشن، حيث يُراد هنا من "أخشن" غلبة الأبعاد النفسانيّة على الأبعاد الروحيّة.

فنجد أنّ أدعية الناس الذين تمليهم أنفسهم نحو الدنيا كثيرًا تنسجم مع آياتهم الوجوديّة النفسيّة؛ وبالتالي، فإنّ أدعيتهم هذه تكون بهدف تقوية النفس، ولأجل الآثار والخصائص التي تُمنح لهم في هذه الدنيا وتُقوّي أنفسهم وتزيد من جاهها ومنزلتها في الدنيا، حيث إنّ قوّة النفس من المسائل العجيبة التي تظهر للإنسان بصور وأشكال مختلفة! فتارة، تظهر على شكل الدنيا، وتارة على شكل الدين، وتارة على شكل الزهد، وتارة على شكل الحكم، وتارة على شكل العلم، وتارة على شكل الزعامة، وتارة على شكل كثرة الأموال؛ فلها صور مختلفة، كما أنّ تشخيصها أمر صعب جدًّا؛ بمعنى أنّه صعب كثيرًا على الإنسان تحديد أيّ هذه الميول إلهيّ، وأيّها غير إلهيّ.

توجد علامة واحدة فقط يُمكن للإنسان من خلالها أن يقيس نفسه، إلى حدّ ما، ليعرف هل العمل الذي يقوم به هو لله تعالى أم لا؛ وذلك بأن يقول: **«اللّهُمَّ ارْزُقْني التَجافي عَنْ دارِ الغُرُورِ وَالإِنابَةَ إِلى دارِ الخُلُودِ»**[1]

فإذا كان العمل الذي يؤدّيه الإنسانُ يقلّل من رغبته بالدنيا ويزيد من محبّته للآخرة، بحيث يصير هذا الإنسان يشعر بفتورٍ تجاه أمور الدنيا وشؤونها، وبنشاطٍ وعشقٍ ومحبّة

---

[1] إقبال الأعمال، ج ١، ص ٢٢٨.

للقاء الله تعالى والأرواح الطيّبة، فإنّ هذا محكّ وميعار يستطيع الإنسان بواسطته أن يقيس أعماله، ويكتشف هل هي لله أم لا؛ وإلاّ، فإنّ تحديد كون العمل هو لأجله تعالى أو لا هو أمر في غاية الصعوبة! فقد يكون أحدٌ من أهل الدنيا بكلّ ما للكلمة من معنى، وعيد الله تعالى بدعاء حسن؛ لكن، تكون تقوية النفس واستكبار مكنونة في حاقّ معنى هذا الدعاء، بحيث لا يتّضح أنّه دعاء ديني، ويقول كلّ من عرضَ عليه: «إنّه دعاء أخروي» لكن، يكون باطنه الدنيا!

فكلّ شيء يُقوّي الاختيار والإرادة في الإنسان في مقابل اختيار الله تعالى وإرادته، ويكون عبارة عن الدنيا؛ لأنّ الدنيا تعني هذا الإنسان ـ مهما كان هذا الشيء ـ مهما سوى الله تعالى، مهما كان الشيء المتضمّن في هذا المعنى.

فنجد الذين يرجون لقاء الله ويكونون لله تعالى اختيارهم وإرادتهم شيئاً فشيئاً، إلى أن يصير هو المتصرّف في شؤونهم؛ وهذا هو معنى «الولاية» أي أن يصل العبد في طاعته إلى موضع يكون فيه جميع صلاحياته، في يد الله تعالى وهو المتصرّف في شؤونه؛ وهذا هو «الولاية» التي لا تتكشّف حقيقة معنى التوحيد في وجود الإنسان، إلاّ حينما يُسلّم هذا الإنسان اختياره وإرادته؛ وأمّا إن لم يفعل ذلك، فسيستحيل أن يصل الإنسان إلى شرف لقاء الله تعالى، أو يُدرك هذا المعنى، ولو انقضت ألف مليون سنة؛ فقد يُؤدّي مجموعة من الأعمال العبادية، وقيام بأعمال مبهرة كثيرة، كما أنّ كثرة هذه الأفعال لا تكون لها أيّة حقيقة، لكنّ تلك الأعمال لا تؤدّي إلى وصوله بتاتاً؛ وعليه، فإنّ الأدعية التي أذكرها والحاجات التي أتوفّر عليها لتظهر بصور وأشكال مختلفة.

مضمون أدعية العبادة الصالحين

وحينئذ، إذا أراد الإنسان أن يدعو الله، فبأيّ دعاء يدعوه؟! لأنّه يخشى أن يكون هذا الدعاء لأجل النفس وتقويتها، لا لأجل روحانيّتها! وأن يكون من الأدعية التي تضع ستار الاستكبار على النفس، وليست التي تُقلّل من أنانيتها؛ ولهذا، على الإنسان أن يدعو بهذا النحو: «إلهي، أعطني ممّا دعاك به العباد الصالحون».

ففي نهاية المطاف، فإنّ هذا الإله كان لو لا يزال يتوفّر على عباد صالحين لا يدعونه عن استكبارٍ وتقويةٍ للنفس، بل عن إخلاص، حيث إنّ مضمون هذه الأدعية ـ التي وعد بها المتّقين ـ عن إخلاص ـ متيّم في لقاء الله تعالى، وبلوغ مقام الولاية، وطيّ المراحل العالم الاعتبار، والتخلّق بالحقّ، والابتعاد عن الباطل؛ لذلك لأنّ دعاء السجاد يختلف عن دعاء الآخرين؛ وهو دعاء لطيف جدّاً!

يقول زيد بن علي: رأيتُ أبي علي بن الحسين عليهما السلام في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك من أوّلها إلى آخرها:

«اللهمّ ارزقني التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود»[1]

وهذا دعاء جيّد جدًّا: إلهي، ارزقني التجافي - أي أن أحيد بجانبي عن دار الغرور، ويُقال: فلان حاد بجانبه عن الفعل الكذائي، أي أنّه أعرض بنفسه عنه ولم يمِل إليه -، والإنابة والأوبة إلى دار الخلود».

ولهذا، فإنّنا نقرأ أيضًا في عاء العديدين:

«اللهمّ إنّي أسألك خير ما سألك منه عبادك المخلصون، وأعوذ بك مما استعاذ منه عبادك المخلَصون»[2]

هذا، والمخلِصون[] هم الذين سلكوا طريق الإخلاص والانجاة؛ فهؤلاء هم الذين نسألهم في الدعاء، لا المخلَصين؛ لأنّ المخلَصين: في بعض النسخ:

المخلَصين؛ لأنّ هذه الدنيا غير صحيحة؛ لأنّ المخلَصين «المخلِصون وعباد المخلَصين» كانوا في دار الدنيا، ولم يعودوا بحاجة للاستعاذة بالله تعالى من الشيطان؛ إذ صارت له رؤية أخرى، وأصبحوا ينظرون إلى الشيطان نظرة مغايرة؛ كما أنّ الشيطان بدوره قد أيِس منهم، ولم يعُد قادرًا على الوصول إليهم.[3]

وأمّا الذين لم يصيروا بعدُ مخلَصين، ولا زالوا في صدد تطهير أنفسهم في طريق الإخلاص - أخلَصَ يُخلِص إخلاصًا؛ أي أنّهم يُريدون تزكية ذواتهم -، فإنّ الشيطان يأتيهم، بحيث كلّما كان إخلاصهم أقلّ، جاءهم الشيطان بطريقة أقلّ كذلك.

وفي بعض الحالات، قد يُلطّف الشيطان نفسه، ويلطّفها، إلى درجة أنّ الإنسان لا يُدرك أنّه شيطان؛ وهذا هو الهوى الشيطاني! إذا كلّما صار الطريق أدقّ، جاء الشيطان بصورة أقلّ، ليخدع الإنسان؛ ولهذا، فإنّ أولياء الله تعالى - الذين يسعون لبلوغ درجات القُرب ويكونون في مرحلة الإخلاص - يكونون هم أيضًا أدقّ لطافة، بحيث لا يكون

---

[1] إقبال الأعمال، ج ١، ص ٢٢٨:

«مِمَّا رَوَيْنَاهُ بِإِسْنَادِنَا إِلَى أَبِي عَلِيٍّ مُحَمَّدِ بْنِ هُمَامٍ بِإِسْنَادِهِ إِلَى عَلِيِّ بْنِ مَيْثَمٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَلِيٍّ مُحَمَّدَ بْنَ عُثْمَانَ الْعَمْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبِي رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: سَأَلْتُ أَبَا مُحَمَّدٍ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْلَةً عِنْدَ انْصِرَافِي مِنْ عِنْدِهِ مِنْ آخِرِ مَا أَلْقَاهُ أَنْ يَدْعُوَ لِي بِدُعَاءٍ أَسْأَلُ اللَّهَ فِيهِ أَنْ يَرْزُقَنِي التَّجَافِيَ عَنْ دَارِ الْغُرُورِ، وَالْإِنَابَةَ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ، وَالِاسْتِعْدَادَ لِلْمَوْتِ قَبْلَ حُلُولِ الْفَوْتِ"».

[2] مصباح المتهجّد، ج ٢، ص ٦٥٤.

[3] ص ٤، ج ٤؛ و ج ٢، ص ٤١؛ معرفة المعاد، ج ١، ص ٥١؛ معرفة الإمام، راجع: لمزيد من الاطّلاع على هذه المسألة، ص ٣٩؛ رسالة لبّ اللباب، ص ١٣٧.

بمقدور الناس العاديين اكتشاف أنّه هوى نفسانيّ، بل يعدّونه أفضل أعمال الخير؛[1] في حين أنّ الحقيقة تكون مختلفة، والمعنى لا يكون بهذا النحو.

«حَسَناتُ الأبرارِ سَيِّئاتُ المُقَرَّبين»[2] أي أنّ الأعمال الحسنة التي تصدر من الأبرار هي سيّئة بالنسبة للمقرّبين!

اللهمّ إلّا أن يدعو الإنسان بهذا النحو:

«اللهمّ إنّي أسألك خيرَ ما سألك منه عبادُك الصالحون»

لكن، بشرط أن يقولوها حقيقةً! لأنّ الأمر الذي يطلبه العبادُ الصالحون من الله تعالى ليس هو ذاته السكاكر والحلويات وراحة الحلقوم[3]! حيث إنّهم يقولون: «إلهي، طهّرنا»، والتطهير يستلزم الدخول إلى الموقد؛ إذ ما دام الحديد لم يوضع في الموقد، فإنّه لا يصير نقيًّا؛ كما أنّ الذهب لا يصفو إلاّ حينما يوضع في بوتقة الصائغ. فهذه هي الطريقة التي يدعو بها هؤلاء، حيث يرون أنّ وجودهم لا يقبل الامتداد، فيسألون الله تعالى أن يمنحهم الطهارة؛ مع أنّ هذه الطهارة تستلزم ـ بكلّ تأكيد ـ الامتحان أثناء تخطّي هذه المراحل؛ ولهذا، عندما يُريد الإنسان أن يدعو، عليه أن يُسلّم نفسه حقيقةً، ويقول: «هبني من نفس الأشياء التي سألك منها العباد الصالحون».

حقيقة الحياة الطيّبة

«يا خيرَ مَن سُئِل» يا مَن انتخبتُه واخترتُه من بين كافّة الموجودات التي يُسأل ويُطلب منها؛ إذ هي ليست موضع اختياري وانتخابي.

«وأجودَ مَن أعطى» فجودك هو أكبر من جود الذين يمنحون ويُساعدون ويُعطون.

«أعطِني سؤلي في نفسي» فانظر إلى المسائل التي طلبتها لذاتي ونفسي.

وتفضّل عليّ بكلّ ما رغبت فيه نفسي؛ لأنّ ما طلبته لهذه النفس ليس بالأمر الذي يُساهم في انتفاخها وكِبرها، بل سيُفضي إلى رقّتها ولطافتها، لكي تُدرك مقام عظمتك؛ ولا يخفى أنّ هذا دعاء جيّد!

1. لمزيد من الاطّلاع على هذه المسألة، راجع: معرفة المعاد، ج ٧، ص ١١٤ ـ ١١٦.

2. رسالة السير والسلوك المنسوبة لبحر العلوم، ص ١٤٠، الهامش ١:
«ليست عبارة حَسَنَاتُ الأبْرَارِ سَيِّئَاتُ المُقَرَّبِينَ مضمون رواية، على الرغم من أنّها حكم صحيح ومطلب واقعيّ وحقيقيّ».

3. نوع من الحلوى مكوّنة بالأساس من الهلام والنشا والسكر. المعرّب

«ي دلوي، ووَلِدَيَّ» والذين يقربون إليّ، وعيالي «ي أهلي وأَسفَل ي في سُؤلي ي عطِنِي أ»

وأيضاً «ي تنازُحِ هلي أ» أي: الذين لهم علاقة قرابة معي؛ بوالختصار، الذين أحزن عليهم، فيُضيف الكتاب في إصابتهم بالأذى والضرر إلى حزني، حيث تُشتّق كلمة حُزاز من مادّة «الحُزن، فيُقال لكلّ من يقرب للإنسان، ويحزنه إذا الإنسان يحزن تعرّضه للبلاء».

وأعطني أيضاً سؤلي في الإخوان الذين اكتسبتهم في طريقك «وإخواني في ك».

الله من الممكن أن يتوفّر الإنسان على العديد من الإخوان، غير أنّهم لا يكونون في الله؛ أي: الذين إذا تعالى؛ ولهذا، يقول عليه السلام: استجاب لأدعية التي دعوته بها لإخواني في الله؛ أي: الذين انعقدت أواصر المحبّة على أساس تحابّنا.

وأغضض طرفي عن العيش الرغيد «ي شيَعِ1دِ رغَأ».

إذا يُراد من الرغد: الطريّ والغضّ والطيّب والطاهر والعذب؛ فهذا هو الذي يُقال له: عيش رغد.

ويُراد من العيش: المعيشة والحياة؛ ومن هذا، قد يكون للإنسان عيش، إلاّ أنّه يكون غير رغد، فيُؤدّي إلى تنغّص هذا الإنسان؛ وأمّا إذا كان تفكير الإنسان شاغراً بالحزن، فيُفرّغ مكتنَفاً بالخوف، فإنّ عيش هذا الإنسان سيصير عذباً؛ هذا، مع أنّ جميع الأفراد مقرون بأيّ قيد أو خوف، من دون استثناء ـ يُعانون من الخوف والحُزن؛ إذا ما دام الإنسان لم يصر من أولياء الله تعالى، فلن يتخلّص من هذا الخوف والحزن.

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.2

فالله تعالى هو الذي أخذ على عاتقه تدبير أمورهم، وعجز العقل البشري عن إدراك كنه تدبيره لأمورهم، وإن حاولوا شيئاً، قال تعالى: «ما نحه» الذي تعالى الله عن أن يعرض عليهم أمر التكليف الخوف والحزن، فلا يتكلّمون إلاّ بما يريده الله تعالى؛ ولهذا، ما دام الإنسان لم يُسلّم اختياره لله تعالى، لا يحزنون إن عرض عليهم هذا الأمر المرير؛ أو لا يحزنون كلّ شيء يفعله الله تعالى، ويُؤمنون أنّ جميع الأشياء لا تملك من نفسها أيّ شيء! ولهذا، ما دام الإنسان لم يُسلّم اختياره لله، فإنّه سيظلّ مشحوناً بالخوف والحزن، ولو حظي بأفضل عيش، وقضى حياته في أحسن رفاهية وفي معيشة تفوق تصوّر الناس العاديين؛ إذا تجد في أعماق قلبه خواطر من الحزن والخوف لا يعلمها إلاّ الله تعالى.

---

1. ي شيَعِ دِ رغَأ: ل خ.

2. سورة يونس، الآية ٦٢.

ولهذا، يُقال: إذا كان عدد من الأفراد يُشغلون أنفسهم في الدنيا ببعض اللذّات، فإنّ ذلك يعود إلى أنّهم يرغبون في إخراج ذلك الخوف والحزن من أذهانهم بشكل مؤقّت، ويسعون إلى تحصيل حالة من الالتهاء؛ لأنّ الإنسان الذي لم يهب قلبه لله، ولم يوكله اختياره يظلّ يحتمل وقوع آلاف الأحداث المريرة التي يكفي كلّ واحد منها في زلزلة وجوده وزعزعة خواطره؛ كما أنّه يظلّ يُقيم العزاء في نفسه على كلّ شيء من الأشياء التي فقدها في الماضي، ويحزن باستمرار، وهو يقول: «يا لها من أشياء ضاعت منّي إلى الأبد! وعسى ألاّ يحدث في المستقبل كذا وكذا وكذا!».

هذا إذا لم يلتفت هذه النفوس إلى هذا الحزن، فإنّه يظلّ كامنًا في قلبه، حيث يكون هذا الحزن والخوف مجتمعًا بحوره نفسه؛ ولهذا، فإنّ الذين يُحصّلون الأموال، إنّما يُحصّلونها لأجل الحزن والخوف؛ ولكي يصرفوا نفسه للحظة واحدة عن ذلك الخوف والحزن؛ ولكي إذا التهت بالتالي، لا سمح الله، عن ذلك الخوف والحزن يظلّ كامنًا في مكان ما في [البداية] الإنسان وترسّخ تلك اللذّة، فإنّ ذلك الخوف والحزن يظلّ كامنًا فيه.

وقد جمعت مجموعة من الأشعار للخيّام يقول فيها:

مى خورد منه از براى طرب است ** زهر نشاط و ترك دين و ادب است

مى خوردن و مست بودنم زين سبب است ** خواهم كه مدى ز خويشتن بازرهم[1]

[يقول: ليس شُربي للخمرة من جهة اللطرب أو للحصول على القوة والنشاط أو ترك الدين والأدب.

بل أريد بذلك التحرّر من نفسي للحظة، هذا هو السبب وراء شربي الخمر وسكري]

فمن المشهور قولهم: كان الخيّام يحتسي الشراب؛ هذا، مع أنّه ليس المراد منه الشراب المعنويّ، بل الشراب المادّي الظاهريّ؛ ولذلك، لا توجد لأشعاره أيّة علاقة بالتوحيد، بل إنّ مستواها متدنٍّ جدًّا؛ ولأجل ذلك، فإنّ الكفّار وأمثالهم يُحبّون هذه الأشعار كثيرًا. فذات يوم، قرأت في كتابٍ أنّ كلّ ولد وبنت إنجليزيّين يضع في جيبه ترجمة لبعض أشعار الخيّام؛ حسنًا، فهذا راجع إلى مسألة الانسجام بين الأرواح! يقول: إذا كنت أحتسي الخمر، فليس ذلك بسبب أنّني أرغب في الطرب، أو في ترك الأدب، أو مخالفة أمر من الأوامر، بل إنّ الهمّ والغمّ قد تغلّبا عليّ، إلى درجة أنّني أصبحت أريد أن أرتاح ساعة واحدة؛ ولهذا السبب، أحتسي الخمر، لكي أفقد وعيي، وأتخلّص من الخوف قليلاً! وحينئذ، ليقُم كلّ واحد منكم بمقارنة هذا الأمر مع حال الذي أوكل اختياره لله تعالى! إذ حينما يفقد الإنسان عقله بواسطة

[1] ١٢٦. ص ٢، ج ،الله ةفرعم

المُسكر مدّة ساعة واحدة، فلن يكون قد أصلح نفسه، بل سيكون قد وضع على عقله غطاءً، حتّى لا يفهم ولا يُدرك [حزنه وخوفه].

وأمّا الذي سار في طريق الولاية، وأكمل اختباراته بيد الله تعالى، فإنّه سيكون - في الأساس - قد أصلح نفسه، وفتح عينيه لرؤية جميع العوالم والكائنات والأسرار.. أسرار الكون، والاطّلاع على حقيقة ربط الحادث بالقديم وكيفيّة تجلّي النور الإلهيّ في الموجودات؛ ليصير بنفسه عالَماً آخر، وتتضح له أفكاره في مقابل أفكاره عبارة عن أفكار طفوليّة أبدًا! فهذا العيش هو العيش العذب؛ خلافاً للعيش الذي يقول عنه الخيّام إنّه على الإنسان أن يتحسّى الخمر، لكي يفقد الإدراك، ولا يعود يشعر بالألم؛ لكن، ما هي الآلام التي كانت تُعاني منها الخيّام؟! هل كانت له زوجة وأولاد؟! هل كان من المضطرّ للبلايا؟! لا شيء من ذلك! لقد كان عالِماً وربّاضيًّا وله اطّلاع على علم الهيئة أيضاً؛ هذا الحكيم؟! لا شيء من ذلك! أقول: لو كان عالِماً وربّاضيًّا وله اطّلاع على علم الهيئة أيضاً؛ هذا وحسب! ومن هذا، فإنّ الغُصّة التي تقول إنّها قد تعرّضت لها هي غُصّة وجوده وأنانيته نفسه؛ فالنفس مكمونة في وجود الإنسان؛ هي التي تعمل على إيذائه! ولا يخفى أنّه يقول الحقيقة؛ غاية الأمر أنّ سبيل النجاة لا يتمثّل في احتساء الخمر؛ فليس هذا هو طريق الخلاص، بل إنّ هذا الطريق هو المعرفة. فإذا لم يحصل الإنسان على هذه المعرفة، فليحتسِ الخمر إلى حين وفاته [فإنّ ذلك لن ينفعه في شيء]! لأنّه سيرتحل عن الدنيا بفقد هذه النفس؛ هو ذاك، لن يحصل الإنسان على هذا النوع من الشراب الذي يُفقده عقله، بل سيذهب به إلى المحكمة الإلهيّة، وسيكون هناك أعمى.. ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[1].

«وأرغديشي»

اجعل لي نوعاً من العيش لا يكون فيه أيّ خوف أو حزن؛ فهبني الآن بستانيًّا في المدينة! ولا يخفى أنّني أتحدّث الآن بلسان الإمام السجّاد؛ في حين أنّه لا يتحدّث بهذا اللحن مع ربّه، بل أنا أتفضّل قليلاً وأتدخّل في تفسير كلامه عليه السلام؛ وقد كان هذا هو حالي منذ بداية الدعاء إلى الآن! فالإمام عليه السلام يتحدّث بغاية الأدب، لكنّني أتجاوز الحدود قليلاً؛ لذلك بسبب تطفّلي؛ ولهذا، أسعى إلى الفصل بين هذا الأمر وبين تفسير كلامه من خلال وضعه بين هلالين. فتفضّل علينا بستان في المدينة يكون كذا وكذا، بحيث يبلغ علوّ أشجاره عنان السماء، وتجري فيه الأنهار، وتكون فيه أجمل فتيات العالم جاهزات لاستقبالنا، ونوتّى فيه

---

[1]. سورة طه، الآية ١٢٤.

بأفضل فواكه الدنيا، وإلى آخره! لكن، حتمًا يذهبون بنا إلى هذا البستان، سنكون خُرصانًا بأفواههم، وتكون أعيننا آذانًا موصدة! فإذا كنّا لا نملك أيّ اطّلاع على عالم الخلقة، وأيّة معرفة بأنفسنا، هل سيكون بوسعنا معرفة الغير؟! فإذا لم نُؤدّب أنفسنا، هل سيُمكننا تأديب الآخرين؟! فنحن لا نعرف أنفسنا بتاتًا؛ وحينئذ، في ماذا سينفعنا هذا البستان؟ وما الذي سنستفيده منه؟! اللهمّ إلّا ما تستفيده الحيوانات من اللذّة الجنسيّة والشهوات البطنيّة! فأيّة فائدة سنجنيها من هذا البستان؟! هل سيكون بوسعنا النظر إليه، وتعلّم ألف سرّ ورمز من أوراق أشجاره؟! وهل سيكون بمقدورنا النظر إلى مائه، ورؤية انعكاس تألّلؤ صفات النفوس الملكوتيّة فيه؟! وهل سنستطيع إدراك أنّ صوت الطيور الموجودة في هذا البستان تحكي عن النغمات الملكوتيّة الصادرة من ذلك العالم؟! أو إدراك أنّ هذا البستان بأجمعه بكافّة ما يحويه من كثرات إنّما هو حكاية عن رحمة الله تعالى؟! كلّا! لا يُمكننا استفادة هذه المعاني مُطلقًا؛ فحالُنا بالضبط حالُ حمار أخذوه إلى إسطبل، فبقي هناك منهمكًا في أكل الشعير والتبن؛ فلا يُمكننا الاستفادة أكثر من ذلك؛ إذ لا زال ذلك الخوف والحزن مكنونين في بواطننا؛ فوجودنا هو الذي يؤذينا ويُحزننا؛ وبالتالي، لن تنفعنا هذه البساتين في أيّ شيء؛ ومن هذا، فإنّنا نسأل الله أن تهب بستانًا يصير وجودنا معه مرتاحًا، ويكون العيش فيه هنيئًا؛ أي عذبًا وسائغًا.

هر کجا یوسف رخی با شد چو ماه ** هست تنّ گرچه با شد قعر چاه[1]

[يقول: أينما كان هناك وجه يوسفيٌّ كالقمر، كانت هناك الجنّة، ولو في قعر بئر]

1: المثنوي المعنوي، الكتاب الثالث.

هر کجا یوسف رخی با شد چو ماه ** هست تنّ گرچه با شد قعر چاه

با تو دوزخ تنّ است ای جان فزا ** با تو نزدان گلشن است ای دلربا

شد جهنّم با تو رضوان نعیم ** بی تو شد حیران و گل، زار رحیم

هر کجا تو با منی من خوش دلم ** ور بود در قعر گور ی منزلم

دود با تو سرو سودا با تو مه ** کاه مرا با تو شود آنجا دو جهان خوش تر از هر دو جهان

[يقول: أينما كان هناك وجه يوسفيٌّ كالقمر، كانت هناك الجنّة، ولو في قعر بئر

الجحيم معك جنّة يا محيي الروح، والسجن معك حديقة يا مالك القلب
وإن كنت معي فالصحراء مرتع، ومن دونك، صار الريحان والورد زائرًا مستعرًا
أينما تَكُنْ معي، فأنا سعيد، ولو كان منزلي في قعر بئر
فأحسن مكان في العالَمين هو المكان الذي يجمعني فيه العشق بك]

!وحنا اذهب أئيذ عيشي هنيفجا عل «يشيَعِدِغرَ»

«يتَوَرُمرِهظَأ»

نسانلإا ةمهاشم؛ فأظهر شهاميتي ولا تُبقها مختفية وراء الستار! فشهامة الإنسان المروّءة تعني الشهامة؛ وأنا تتمثّل في تضحيته وإيثاره وإنفاقه وإيكاله اختياره بيد الله تعالى؛ فهذه هي الشهامة؛ وأنا أسألك أن تُظهرها.

«يأحَولاي عَيمَجَحلصأ»

!أصلحه، واجعله تحت نظرك، وحيثما وُجد فيه خلل، فخذ كلّ واحد منها

أهمّية طول العمر بالنسبة لغير الكاملين

«يَنْلعْجاَ، كَتَمْعِنِ هْيَلَعْ تَمْمَأَتَوَ، هُرَمْعُ تَعْطَقْتَ نْأ نْمِ يَنْلعْجاَ
وَ يَحْيَتْهُ ةَبِّيطَ ةًفِّخُمِ وَرُسُّلا مِوَدْأَ يفِ رِوُرْغِبْسَوَ ةِمارَكلا مِتَأَوَ شِيْعَّلا ءاشَتام لُعْفَ كَّنِإ، ءاشَتام لُعْفَ كَرُيْغَ يَقْبَ»

!...اجعلني ممّن أطلت أعمارهم

فلا تنقلني من هذه الديانة مُبكّرًا؛ فأنا أريد عمرًا طويلًا، حيث بيّنت آنفًا أنّه حينما تنتهي حياة الإنسان، فإنّ جسد أعماله سيُغلق، وتتلاشى قابليّاته، ويُختم عليه، ولا يعود قادرًا على الحركة؛ ولهذا، فإنّ العمر الطويل جيّد، لكي يتمكّن الإنسان من العمل؛ وإلّا، حينما ينتهي عمره، فإنّه سيعجز عن ذلك. لأجل، إذا وصل الإنسان إلى مقام الولاية؛ أي إلى لقاء الله تعالى، فلن يفرق بالنسبة إليه طول العمر أو قصره؛ وحينئذ، عليه أن يوكل عمره إلى الله تعالى، ويقول: «إلهي، حياتي بيدك؛ إن شئت أطلتها، وإن شئت قصّرتها» إذا الحساب هنا مختلف؛ لكن، ما دام لم يصل إلى هذه الغاية، وكان في نقصان من حيث الصفات الكماليّة، فلا ينبغي عليها بتاتًا أن يتمنّى الموت. لأجل، لا ضير في أن يتمنّى الإنسان الموت الحقيقيّ.. «توا وقَبَل

وذلك بأن يقتل الإنسان نفسه [الأمّارة] في هذه الديانة قبل أن يموت؛ لكن، إذا آن «اوتموتَأ نَأ
أوان هذا الموت [قبل أن يبلغ تلك الغاية]، فإنّه سيأخذ روحه وهو ناقص.

---

[1]: ٣، الهامش ١٤٩، ص؛ توحيد علمي وعيني، ص ٣٥٩؛ مرصاد العباد، ص

وحنا الجملة نصّ عبارة وردت في رواية مرسلة؛ لكنّها جاءت أيضًا بمضمونها في الخطبة ٢٠١ من نهج البلاغة بالحنا «هذه "مكُنادبأ امهنِم َجرُخَتن أ لَبَق مكَبوُلُق اوجرِخأَو نِم الديانة"

فلا بدّ للإنسان من أن يعمل في الدنيا؛ لأنّ كلّ من عمل فيها، فقد ظفر؛ وأمّا إذا وضع الإنسان قدمه على بساط الموت، فإنّه سيرتحل عن هذا العالم بتلك المكتسبات التي حصّلها هنا.. ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[1]؛ فهذه هي حقيقة الأمر!

وحينئذ، إن رأى الإنسان في نفسه بأنّه لم يصل إلى تلك الدرجة، هل يصحّ له أن يقول:

﴿إلهي أنزل عليّ الموت﴾! حسناً، تفضّل على بركة الله؛ هذا هو الموت! لكن، ما الذي سيحصل بعد هذا الموت؟ سيرحل الإنسان بهذه النفس التي لطالما أثارت العديد من الفتن في هذه الدنيا، وكانت تُريد اكتساب المزيد من الأعمال، غير أنّها كانت عاجزة عن ذلك؛ لكن، هنا يرتفع حجاب الزمان والمكان، وتصير هذه النفس قدرة أكبر، فيا لها من أعمال ستقوم بها انطلاقاً من رغباتها النفسانيّة! حيث ستقوم بأشياء جهنّميّة، وليس أشياء مرتبطة بالجنّة؛ ويرجع ذلك إلى أنّ هذه النفس ملوّثة؛ ولهذا السبب، طرق مسمعكم أنّ عذاب البرزخ شديد جدّاً، وعذاب القيامة أشدّ منه بكثير؛ لأنّ هذا ما تطلبه النفس، بل نجدها تطلبه بنحو لا شعوريّ، حيث إنّ هذه الأمور من العذاب عبارة عن أمور تطلبها النفس؛ وإلاّ، فإنّ الله تعالى لا يظلم أحداً؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[2].

وعليه، أسألك يا إلهي أن تجعلني من الذين طوّتَ أعمارهم؛ إذ بواسطة طول العمر، يستطيع الإنسان الحركة باستمرار، والتقدّم إلى الأمام تدريجيّاً، مرحلة بعد مرحلة.

ارتفاع الشكوى من الله تعالى ومن العبد!

فاجعلني من الذين حسّنتَ عملهم بنفسك، لا أنّ عملهم أراد بذاته أن «حَسَّنَتْ عَمَلَهُ» يُحسّن ذاته، بل أنت الذي أتيت، وحسّنتَ.

فهناك العديد من الناس الذين أتممتَ عليهم نعمتَك، فاجعلني أنا «أَتْمَمْتَ عَلَيَّ نِعْمَتَكَ» أيضاً منهم، حيث إنّ تمام النعمة هي الولاية.

واجعلني من الذين رضيتَ عنهم «رَضِيتَ عَنْهُ».

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[3].

ففي هذه الحالة، سترتفع الشكوى من الطرفين؛ فلن تكون لله تعالى شكوى تجاه العبد؛ ولن يكون للعبد أيضاً شكوى تجاه ربّه؛ لأنّ معرفته قد

---

1. سورة البقرة، الآية ٢٨٦.
2. سورة يونس، الآية ٤٤.
3. سورة البيّنة، الآية ٨؛ سورة المجادلة، الآية ٢٢؛ سورة التوبة، الآية ١٠٠؛ سورة المائدة، الآية ١١٩.

ازدادت إلى درجة أنّه صار يرى كافّة الأحداث والمقدّرات من قضاء الله تعالى وقدره، عين المصلحة؛ وهذا هو الراضي؛ فاجعلني مثله!

وماذا أسألك أيضاً أن تفعل؟! «وَأَحْيِنِي حَيَاةً طَيِّبَةً» أن تجعلني من الذين هو بهم حياةً طيّبةً.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]

فالحياة الطيّبة هي الحياة الطاهرة والمُريحة التي لا يوجد فيها أيّ نوع من الحزن أو القلق.

وتكون هذه الحياة في أدوم مراتب الفرح والسرور «فِي أَدْوَمِ السُّرُورِ وَأَسْبَغِ الْكَرَامَةِ» التي لا يُخالطها أيّ غمّ أو أسى.

حقيقة الزهد على لسان أمير المؤمنين عليه السلام

ـ يا سيّدي ـ فينزاح الغمّ والأسى من أعماق وجود الإنسان بنحو تامّ، حيث يصير أمره بهذا النحو! ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2] ويقول الأبناء: إنّ التنوين هنا هو للتنكير؛ أي: لا شيء [عليهم] من الخوف والحزن؛ وحينما لا يبقى في الإنسان أيّ خوف أو حزن، فإنّ حياته تكون هي نفس الحياة التي قال عنها حضرة أمير المؤمنين عليه السلام:

بيّن الله تعالى الزهد في كتابه المجيد بين كلمتين، حيث قال:

﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾[3]؛ ومن لم يأسَ على (ما ضاع منه في) الماضي، ولم يفرح بالآتي (وما يحصل عليه فيه)؛ فقد أخذ الزهد بطرفيه.[4]

فنجد الإنسان يُصاب بالأسى حينما يضيع شيء من يده، ويفرح عندما يحصل على شيء ما؛ لكن، لماذا يُصاب بالأسى؟ لأنّه فقد شيئاً ما؛ ولماذا يفرح؟ لأنّ شيئاً ما أُضيف إليه؛ وبالتالي، يصير وجود ذلك الإنسان معادلاً لهذا الشيء؛ أي أنّ نفسه تُصبح في منزلته؛

---

1. سورة النحل، الآية ٩٧.
2. سورة يونس، الآية ٦٢.
3. سورة الحديد، الآية ٢٣.
4. نهج البلاغة (عبده): ج ٤، ص ٢٣٨: قال عليه السلام: "الزهد كلّه بين كلمتين من القرآن، قال الله سبحانه: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾؛ ومن لم يأسَ على الماضي، ولم يفرح بالآتي، فقد أخذ الزهد بطرفيه".

ولهذا، حينما يفقد ذلك الشيء، فإنّ نفسه تفسد وتتنزّل وتنكسر؛ وعندما يحصل عليه، فإنّ نفسه تتقوّى وتُسرّ.

لكن، قد يمتلك أحدهُم نفسًا، بحيث لو مُنحت شيئًا، فإنّه لا ينضاف إليها؛ كماء البحر الذي يكون كثيرًا إلى درجة أنّه إذا سُكبت فيه أو أُخذت منه مقدارًا من الماء، فلن يطرأ عليه أيّ تغيير؛ فإذا كان أحد أفراد الإنسان بهذا النحو، فإنّه يصير زاهدًا.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام [ما مفاده]: لقد بيّن الله تعالى في كتابه المجيد الزهدَ بالشكل الآتي: ألاّ تشعر بالأسى عند فقد شيء، ولا بالفرح حين حصولك على شيء؛ فإذا قام أحد بهذين العملين، سيكون قد أخذ بطرفي الزهد وجانبيه.

هذا هو معنى الزاهد! فالمراد من الزاهد على لسان الشارع: الذي قطع تعلّقه بالدنيا، وتعلّق بالله تعالى، بحيث لم يعُد يأسى ويحزن على الأمور الفانية، ويُسرّ ويفرح بالأشياء التي يحصل عليها.

«وَأَسَبَغَ الكَرامَةِ وَالسَّخاءَ وَأَجَدَّ فِي ظِلِّ الكَرامَةِ وَأَسْبَغَ النِّعَمِ» فيكون عيشي هذا واسعًا في ظلّ الكرامة والسخاء، والتفضّل الذي يأتي من عندك، لا أن يكون هذا العيش مقترنًا بالذلّة والانقصاص والانكسار، بل عيش مع كرامة وسيادة عظمة وفضل.

«إِنَّكَ تَفْعَلُ مَا تَشَاءُ» إلهي، إنّك تفعل كلّ ما تُريد.

«لَا يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ غَيْرُكَ» وغيرك لا يستطيع القيام بكلّ ما يُريد.

وعليه، بما أنّك تفعل ما تشاء، فإنّني أسألك أنت؛ في حين، أنّ غيرك لا يقدر على فعل أيّ شيء...!

طلب الإنسان لدخوله في الذكر الخاصّ لله تعالى

«فَرِّغْ أَوْقَاتَ لَيْلِي بِالْمُنَاجَاةِ لَكَ وَتَقَرُّبِي إِلَيْكَ، وَأَشْغِلْ جَوَارِحِي بِخِدْمَتِكَ وَالتَّعَبُّدِ لَكَ، وَاسْتَفْرِغْ مُهَجَ نَفْسِي بِخَشْيَتِكَ وَالْوَلَهِ إِلَيْكَ»

«وَأَدِمْ لِي مَا أَنْعَشَ رَجَائِي وَأَعْلَى مَا بَلَّغَ طَمَعِي وَأَسْكَنَ مَا يَكُونُ لِي مِنْ دُنْيَايَ وَأَحْرَزَ مَا يَكُونُ لِي مِنْ عُقْبَايَ»

إلهي، أسألك أن تجعل من الأفراد الخاصّين الذين يحظون بعنايتك؛ وأن تكون بدلاً من الناس الذين يعرضون عن ذكرك وتُديمون ذكرك الخاصّ لي، وتجعلنا منهم!

فأحيانًا، نرى بأنّ الإنسان يُكنّ المحبّة لبعض الناس، غير أنّه ينظر لكافّتهم بنظرة عامّة واحدة؛ فنجده يُحبّ في هذه الدنيا الكثير من الأشياء التي ينظر إليها بنظرة عامّة واحدة؛ في حين، تكون له نظرة خاصّة لبعض الأشياء التي يُحبّها حبًّا شديدًا، حيث تكون هذه الأشياء حاضرة باستمرار في باله وذكره ولو لم تكُن موجودة أمامه؛ فحتّى إذا كان مسافرًا أو

موجودًا في مكان آخر، فإنّها تكون ماثلةً في بالِه وذهنه؛ وهذا الذي يُقال له: «الذكر الخاصّ».

إلهي، أنت أيضًا لديك العديد من المخلوقات والعباد؛ وجميعهم محطّ نظرك وعنايتك، ولا أحد منهم خارج عن علمك وخافٍ عليك، وأنت الذي تُدبّر شؤونهم، وتعتني بهم، وتُسيّرهم نحو كمالهم، بل أنت الذي تُسيّر عالم الوجود برمّته؛ لكن، لديك أيضًا رحمةٌ رحيميّة، وفيوضات خاصّة، وبعض الأشياء التي ذخرتها لعبادك السعداء وقلت عنها بنفسك:

﴿أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ﴾[1]

فقد ادّخرتُ لعبادي الصالحين من هذه الأشياء؛ وصحيح أنّ العين لا ينبغي لها أن ترى هذه الأشياء؛ إذ لو رأتها، لما كانت مكنونة في حرم الله تعالى؛ وهكذا أيضًا إذا سمعت بها أذن، أو خطرت على قلب بشر، حيث ستكون حينئذ معلولة ومخلوقة لهذا القلب، ولن تكون من الأشياء التي ادّخرها الله العليّ الأعلى حينما قال: أعددتها لعبادي الصالحين.

ومن هنا، يتّضح أنّه علاوةً على الأشياء التي تُفيضها على عالم الوجود بفيضك العامّ القائم على أساس رحمتك الرحمانيّة، فإنّ لديك بعض الأشياء الخاصّة؛ وهي التي أسألك أن تهبني إيّاها!

«خُصَّنِي مِنكَ بِخاصَّةِ ذِكرِك»

فلن ينقص ذلك منك أيّ شيء، بحيث إذا جعلتني من هؤلاء دفعةً واحدةً، فلن تعود قادرًا على أن تُخصّ أيضًا بذكرك الخاصّ الأفراد الذين يحظون بعنايتك؛ لأنّ بالك سيصير مشغولًا، ولن يكون بوسعك تخصيص العديد من الأفراد بذكرك في آن واحد!! فأنت لستَ بهذا النحو! وأنت لست مثلنا نحن الذين إذا أحببنا شيئًا، فلن نستطيع محبّة شيء آخر.. ﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾[2]

لكنّك لست بهذا النحو؛ إذ بمقدورك تخصيص كلّ موجود من عالم الوجود - واحدًا واحدًا- بذكرك؛ لأنّ حسابنا مختلف عن حسابك؛ فحسابنا هو حسب الماهية والإمكان والفقر والذلّة والعجز والعُجب والجهل، وحسابُك هو حسب السعة والانبساط والقدرة والعلم والحياة واللاتناهي؛ ولهذا، يكون الحساب هذا على العكس تمامًا! وحينئذ، إن خصصتنا نحن أيضًا مع أولئك الذين يحظون بعنايتك الخاصّة وينعمون بذكرك الخاصّ، ففي أيّ شيء سيُضيرك هذا الأمر؟! حسنًا، فافعل ذلك!

---

1. تفسير مجمع البيان، ج ٨، ص ١٠٨.

2. سورة الأحزاب، الآية ٤.

معنى الرياء والمسعة وتأثيرهما في أفعال الإنسان وثوابه

«مسعة ورياء لا يُبطلان أجر العبادة في آناء الليل وأطراف النهار»

فحينما أقوم بأعمالي كلّها من صلاة، وصيام، وصدقة، ومناجاة، وبكاء، وارتداء الملابس الشرعيّ، وحجّ، وجهاد، وغيرها من الأفعال الحسنة التي أؤدّيها في آناء الليل وأطراف النهار، وفي جميع أوقات الليل وساعات النهار، والتي يكون مرادي فيها التقرّب إليك لا غير، أفعل ذلك لأنّي أعلم أنّك تحبّ هذه الأعمال الرياء والمسعة والفخر والمباهاة و...! ويا لها من كلمات لطيفة قالها الإمام!

«يا الله» يقول: من الممكن أن يكون الإنسان نائماً في فراشه في منتصف الليل، ثمّ يقول: «يا الله» لكنّ قوله هذا لا يكون خالصاً؛ ومن الممكن أيضاً أن يقوم بأفعال، في حين أنّ نفسه هي التي سوّلت له ذلك، فهي التي قالت له: «عليك الذهاب إلى مكّة [للحجّ]» وأخطرت هذه الفكرة، ونمّتها بباله، من دون أن يشعر هذا الإنسان بأيّ شيء؛ أو أنّها تأتي، وتقول له: «لا تذهب إلى مكّة، وعوضاً عن ذلك، تصدّق بالمال الذي كنت تُريد أن تنفقه في الحجّ على الفقير الفلانيّ من دون أن يطّلع أيّ أحد على هذا الأمر!» فيقوم الإنسان بذلك، وهو يخال أنّه حطّم ذلك الحجر؛ هذا حسب؛ فهذا هو مبلغ علمه...! غير أنّه يُبتلى بالعُجب والرضا عن النفس، ويقول: «لقد أدّيت عملاً من دون أن يطّلع عليه أيّ أحد، فقد وهبتُ المال الذي كان عليّ الذهاب به إلى الحجّ على فقير» أي أنّه يقول هذا الكلام في نفسه! ومراده من ذلك أنّه قام بعمل لم يقم به حتّى النبيّ محمّد، ولا الإمام السجّاد، حيث ذهبا بأجمعهما إلى الحجّ، في حين أنّه لم يقم بذلك! هذا، مع أنّه غير ملتفت إلى هذا الأمر! وهو من المكر الذي تفعله النفس بالإنسان من دون أن يشعر! فقد يُصلّي هذا الإنسان، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويخطب في الناس، ويُؤدّي الآلاف من الأعمال، لكنّ هذه الأعمال تكون معجونة بالرياء. ومعنى الرياء أن أحبّ أن يرضى الناس عن هذا العمل؛ فأفرح حينما يرضون عنه، وأستاء حينما لا يرضون عنه، حيث يرجع ذلك إلى أنّ النفس لا زالت باقية؛ إذ ما دامت هذه النفس باقية، فإنّ كلّ فرح أو حزن تشعر به يكون راجعاً إليها؛ هو ذا يكون الرياء!

وأمّا المسعة، فتعني الصيت والشهرة؛ فيعمل الإنسان كي يزداد صيتُه، ويُحبَّه الناس، ويذكروه بالتعظيم والتبجيل، ويبقى اسمه مخلّداً في التاريخ، وذكره راسخاً في زمرة المصنّفين والمؤلّفين؛ فهذا كلّه مسعة!

فأسألك ألاّ تكون أعمالي لأجل الإعجاب بالنفس والتكبّر والاستكبار، سواءً تُمت بهذه الأعمال في الليل أو النهار، حيث تكون الأعمال التي يُؤدّيها الإنسان في النهار ـ بطبيعة

الحال ـ مشهورة ومعلومة، بينما تكون الأعمال التي يؤدّيها بالليل مخفيّة؛ أي الأعمال التي يُنجزها في آناء الليل وساعات الظلام من دون أن يطّلع عليه أيّ أحد؛ مع أنّ المراد من كلّ هذه الأعمال تلك التي يُريد الإنسان أن يتقرّب بها إلى الله تعالى، وليس المعصية، ولا السرقة، ولا الذنب، بل تلك الأعمال التي يُهدف منها التقرّب إلى الباري عزّ وجلّ، وتلك العبادات والمناجاة؛ فيقول الإمام بشأنها: «إلهي، اجعلها برمّتها خالصة لوجهك؛ ولا تكون لأحد فيها نصيب، ولا تجعل لأحد فيها حظّاً، ولا تعرّفني يوم تقضيني بها، ولا تعرّفها إيّاي، ولا تُطلعني عليها حتّى تُطلع عليها ملائكتك وأنبياءك ورسلك، وأحبّ أن يكون مستوراً ما قبلتَ منها، وما زكا منها فضاعفه لي، وما كان منها لا يصلح للربوبيّة فلا تُظهره لي، ولا تُسلّطني على إفساده حتّى أعرفه، وأمقته، وأرغب عنه، وأهجره، وأرغب إليك في أن تجعلني ممّن يُحبّك ويُحبّ من يُحبّك، ويُحبّب عبادك الصالحين إليك، ويُحبّك إليهم، وأن تجعلني ممّن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وأن تجعلني من ورثة جنّة النعيم، وأن تُؤمّن خوفي يوم الوعيد، وأن تُسكنني دار الخلود، وأن تجعل لساني بذكرك مولعاً، وقلبي لرجائك وخوفك مستوفزاً، وأن تجعل خوفك من بين يديّ كزجري السباع، وأن تجعلني ممّن ترضى عنه وعن والديه، وأن تجعلني بعينك ممّن لا تستخفّ به، ولا تستبدل به غيره، وأن تجعلني ممّن تُحبّ أن تدعوك به، وأن تجعلني ممّن تُحبّ أن تُجيب دعاءه، وأن تجعلني ممّن تُحبّ أن تُكرمه، وأن تجعلني ممّن تُحبّ أن تُعافيه، وأن تجعلني ممّن تُحبّ أن تُعطيه، وأن تجعلني ممّن تُحبّ أن تُسكنه جنّتك، وأن تجعلني ممّن تُحبّ أن تُؤمّنه من عذابك، وأن تجعلني ممّن تُحبّ أن تُبارك له في نفسه وأهله وماله، وأن تجعلني ممّن تُحبّ أن تُشفّعه في نفسه وأهله وماله، وأن تجعلني ممّن تُحبّ أن تُسكنه جوارك، وأن تجعلني ممّن تُحبّ أن تُؤنسه في وحشته، وأن تجعلني ممّن تُحبّ أن تُفرّحه عند شدّته، وأن تجعلني ممّن تُحبّ أن تُغيثه في كربته، وأن تجعلني ممّن تُحبّ أن تُسقيه من حوض نبيّك محمّد صلّى الله عليه وآله يوم العطش الأكبر، وأن تجعلني ممّن تُحبّ أن تُثبّت قدمه على الصراط يوم تزلّ فيه أقدام المجرمين، وأن تجعلني ممّن تُحبّ أن تُبيّض وجهه يوم تسوّد وجوه الظالمين، وأن تجعلني ممّن تُحبّ أن تُسكنه الفردوس الأعلى مع النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً»[1].

وهذا هو الإخلاص الذي يُمكنني أن أعبّر عنه بـ«تقوية النفس»، ولأجل الشعور بأنّه صار لديّ علمٌ لدنّي يُمكنني استخدامه لمصلحة الناس، فيزداد عُجبي بنفسي ورضاي عنها يوماً بعد يوم؛ فلا تفعل بي ذلك!

وإذا سعى الإنسان إلى العبادة لأجل الرزق، فقد يمنحه الله إيّاه؛ فلكلّ عبادة أثر خاصّ؛ فكما أنّ الشيطان يعبد الله تعالى لأجل النفس، فهو يُسلّطه على الناس إلى يوم القيامة؛ مثلما أنّ الله تعالى لا يُضيّع عمل أيّ واحد، بل يهب الجميع أجرهم؛ فإذا أراد الإنسان الدنيا، قال له: تفضّل على بركة الله! وإذا أراد الآخرة، قال له: تفضّل على بركة الله!

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ۝ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾[1].

فنحن نُعطي، ونُربّي، ونُنمّي؛ لكن، ما الذي تزرعونه أنتم؟ فإذا وضعتم [بذرة] الحظّ في التراب، فسنعمل على تنميتها؛ وإذا وضعتم فيه بذرة بطّيخ من منطقة شريف آباد في بقزوين، فإنّنا سنجعلها حلوة وخضراء؛ فكلّ بذرة زرعتموها، سنُنبتها ونُنمّيها؛ هذا هو عملنا!

إلهي، تعالَ، وحرّم كافّة الأعمال التي أؤدّيها في آناء الليل من الشعور بالعجب والسمعة والرياء والجاه والمنصب، ويظهر المفاسد في النهار، ولا تجعلني أميل إليها، ولا تسمح للشيطان بأن يتغلّب عليّ، وأؤدّي تلك الأعمال لأجل الرياء والجاه والسمعة والصيت والشهرة وذيوع الاسم والتخصّص، أو لأجل التكبّر والتعرّف؛ فلا تجعلني من زمرة هؤلاء الناس!

معنى دقيق لمسألة الخشوع لله تعالى

«وَنِيعِشَاخلا نَمِ كَلْ يِنلعجا» (ليكون قلبي منكسرًا).

فهو عليه السلام لم يقل: "واجعلني من الخاشعين" أو "واجعلني من الخاشعين"؛ بل قال: «كلْ يِنلعجا» (أي اجعلني لأجلك من الخاشعين)».

والخضوع هو الانكسار والتواضع؛ فالخضوع والخشوع فارقٌ دقيق بينهما؛ فقد يخضع الإنسان؛ لكن لا يخشع، وأمّا الخشوع فهو ذاك الذي يُقال له: تواضع أو تحترم؛ فهذا الذي يُظهره

---

[1] الإسراء، الآيتان ١٧ و١٨.

هذه، فإنّ الإنسان لأحدٍ بقلبه، وصار يشعر بتواضعٍ قلبيّ تجاهه، فإذا سلّم بالقلب؛ فإنّه يرتبط بالدار الملائكة تكون خشوعاً، ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[1]؛ ليس الدار هذا أنّ لديهم تواضعاً ظاهريّاً، ولو أنّ هذا النوع من التواضع لا يطلب في الصلاة؛ بل الدار أنّ لديهم تواضعاً باطنيّاً؛ أي أنّ قلوبهم منكسرة. **«اجعلني لك من الخاشعين»** ليكون قلبي منكسراً أمامك وأمام إرادتك ومحبّتك.

فاجعلني عبداً لك، بل **«اجعلني لك»** لأجل نفسي، لا تجعلني من الخاشعين؛ وحينئذٍ، غلاماً مطيعاً لحرمك، لكي أكون من الخاشعين في هذا الحرم أيضاً؛ هذا كلام لطيف من الإمام!

[ما فعله] أتى بجبرائيل الأمين، وقال له:

يا رسول الله، لقد وهبك العليّ الأعلى مفاتيح خزائن الدنيا، فخذها من دون أن تستتبع ذلك أيّ ضررٍ بدينك، أو أيّ نقصٍ بمنزلتك!

فأجابه الرسول الأكرم:

أحبّ أن أكون عبداً مسكيناً لا يملك أيّ شيء؛ فأسأل الله تعالى، وأشكره على ما فضّلني به عليّ[2]**؛**

مع أنّ ذلك لن ينقص شيئاً من مقام النبوّة، هي مفاتيح خزائن الله تعالى؛ لكنّني أريد أن أكون عبداً مسكيناً.

الإنسان لا يعلم الله تعالى؛ إذ من الممكن أن يجعل **«اجعلني لك من الخاشعين»** فيقول الإمام: نفسه، غير أنّه لا يجعله من الخاشعين؛ لكن، يُعطيه في الوقت ذاته حكم الدنيا؛ نظير النبيّ سليمان؛ فما العيب في ذلك؟! حيث كان عليه السلام يتملك قصوراً، ومنزلة حضرة سليمان ومنزلة حضرة [فرعية] في الوقت ذاته. لكن، يبقى أنّ الفارق بين منزلة الرسول الأكرم كالفارق بين السماء والأرض! فكانت روحه وكان قلبه بحرٍ لا يُمكنه معه أن يقول: أريد أن أكون عبداً مسكيناً، فأسأل الله؛ ثمّ يصير لديّ شيء، حيث يقول: أريد أن يكون لديّ شيء، فأسأل الله؛ هذا مقام مختلف تماماً! وأشكره تعالى؛ هذا مقام آخر، في يوم آخر،

---

[1]. سورة المؤمنون، الآيات ١ و ٢.

[2]. الكافي، ج ٨، ص ١٣٠:

«... ولَقَد أتاهُ جبرئيلُ بِمفاتيحِ خَزائنِ الأرضِ ثلاثَ مَرّاتٍ يُخَيِّرُه مِن غَيرِ أن ينقُصه اللهُ تَبارَكَ وتَعالى مِمّا أعَدَّ له يومَ القيامةِ شيئًا، فيَختارُ التواضُعَ لِرَبِّه جَلَّ وعزَّ...».

«اللَّهُمَّ أَعْطِنِي السَّعَةَ فِي الرِّزْقِ، وَالأَمْنَ فِي الوَطَنِ، وَقُرَّةَ العَيْنِ فِي الأَهْلِ وَالمَالِ وَالوَلَدِ، وَالمُقَامَ فِي نِعَمِكَ عِنْدِي، وَالصِّحَّةَ فِي الجِسْمِ، وَالقُوَّةَ فِي البَدَنِ، وَالسَّلاَمَةَ فِي الدِّينِ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِطَاعَتِكَ وَطَاعَةِ رَسُولِكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَبَداً مَا اسْتَعْمَرْتَنِي، وَاجْعَلْنِي مِنْ أَوْفَرِ عِبَادِكَ عِنْدَكَ نَصِيباً فِي كُلِّ خَيْرٍ أَنْزَلْتَهُ وَتُنْزِلُهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ، وَمَا أَنْتَ مُنْزِلُهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ، مِنْ رَحْمَةٍ تَنْشُرُهَا، وَعَافِيَةٍ تُلْبِسُهَا، وَبَلِيَّةٍ تَدْفَعُهَا، وَحَسَنَاتٍ تَتَقَبَّلُهَا، وَسَيِّئَاتٍ تَتَجَاوَزُ عَنْهَا، وَارْزُقْنِي حَجَّ بَيْتِكَ الحَرَامِ».

هذه فقرة مستقلّة إذا أردنا الحديث عنها، سنتأخّر كثيراً؛ ولهذا، سنتوقّف عند هذا الحدّ؛ وإذا وفّقنا الله ـ وله الحمد والمنّة ـ ، سنتطرّق مرّة أخرة لتتمّتها، فقد تعرّضنا إلى تفسير قسم كبير من هذا الدعاء، وبقي علينا بيان شيء قليل جدّاً منه.

فإذا وفّقنا الله، سنسعى ـ إن شاء تعالى ـ لإكمال هذا الدعاء بنحو أسرع في عدّة جلسات بعد شهر رمضان. نرجو من العليّ الأعلى أن يوفّقنا، لتنصهر هذه المسائل في وجودنا وخواطرنا، وأن يجعل باطننا يرنو لمنهج وطريقٍ يصل بنا إلى هذه الأمور، وأن يُخلّصنا من كافّة مراتب الأشَر والبَطَر والجهل والاستكبار والخداع، وأن يُطهّر أعمالنا ومحيطنا من هذه المعاني، وأن يجعل اختيارنا مندكّاً وفانياً في [اختياره]؛ ويجعلنا في الدنيا من عباده الصالحين، نحن وأهلونا ووالدينا وأبناءنا وأهل حزانتنا وإخواننا في الله تعالى؛ مثلما قال الإمام عليه السلام بنفسه في الدعاء؛ فنرجو من الله ـ إن شاء تعالى ـ أن يُحقّق هذه الأدعية بنحو كامل وتامّ في حقّ كلّ هؤلاء، بمحمّد وآل الطاهرين.

وصلّى الله على محمّدٍ وآله الطاهرين.